

جامعة القاضي عياض
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
مراكش

ماستر "اللغة والنص"
الفصل الثاني
وحدة "صوتيات النص"

رمزية الحروف عند الصوفية

تطبيق على قصيدتي
"بكائية" و"الحروف" للمجاطي

تأطير وإشراف الأستاذ الدكتور
محمد فتح الله مصباح

إعداد الطالبين:
عبد الواحد البرجي
السعيد وعزوز

الموسم الجامعي: 2016/2015م

حروف الجسد وأجساد الحروف

قصيدتا بكائية والحروف نموذجا

***

- **توطئة حول منهج ابن عربي:**

يرى ابن عربي أن العلم الروحاني، أو ما أسماه بالعلوم الإلهية الذوقية، تختلف عن سائر العلوم، وذلك في أنها لا تخضع لمعايير، ولا تعترف بالعقل، "فلا يقدر عاقل على أن يحدها، ولا يقيم على معرفتها دليلا، كالعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبر والعشق والوجد والشوق، وما شاكل هذا النوع من العلوم، فهذه علوم من المحال أن يعلمها أحد إلا بأن يتصف بها ويذوقها، وبالذوق تتميز الأشياء عند العارفين، والكلام على الأحوال لا يحتمل البسط، وتكفي فيه الإشارة إلى المقصود، ومهما بسطت القول فيه أفسدته، فعلوم الأحوال لا تقال ولا تحكي ولا يعرفها إلا من ذاقها، وليس في الإمكان أن يُبلغها من ذاقها إلى من لم يذقها، وبينهم من ذلك تفاضل لا يعرف".

- **مكانة الحروف وعلاقتها بالوجود:**

الحروف هي موسيقى اللفظ، ورنين الكلمة، وجرس العبارة. فالحرف صوت. وهو صلب البيان والبديع. وهو أساس القافية في الشعر، والحرف صوت ورؤية، في اللسان وفي اليد شفاها وتدوينا، سمعا وبصرا. العالم نفسه موسيقى كما قرر إخوان الصفا. والموسيقى تكون الأشياء مثل زقزقة العصافير، وخرير المياه، وحفيف أوراق الأشجار، وصوت الرعد.

وبالرغم من أن حروف المعجم قد عجمت عن معناها إلا أنها تعبر عن العظمة والأسرار. ومنها تتكون الأسماء الإلهية. الحروف إذن هي التي تربط بين الإنسان والعالم والألوهية. هو القاسم المشترك بين العوالم الثلاثة. وبالرغم من تفرقها وانفصالها إلا أنها أداة ربط. توصل وهي منفصلة.

وتدخل الحروف في البناء والإعراب عن طريق الحركات وهي الحركات الصغار. والحركات أربع: الفتحة والكسرة والضمة والسكون. الفتحة للنصب، والكسرة للخفض، والضمة للرفع والسكون للوقف. الفتحة إلى أعلى، والكسرة إلى أسفل، والضمة إلى الأمام، والسكون إلى الذات أو الوسط. فالحرف حركة، والحركة وجود. يشير إلى الاتجاهات الأربعة. فالكلمات حركات في الوجود واتجاهات في العالم.

هذه حالة العوالم فانظر لحياة غريبة في موات**

- **عدد الحروف وترتيبها.**

والحروف ثمانية وعشرون. وازدادت حرفان أسوة بسنوات أهل الكهف ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا. والزيادة ضد النهاية والغلق كما وصف ابن عربي في "فصوص الحكم" تطور النبوة من آدم إلى محمد ثم زيادتها في الولاية عند ابن سنان. وقد يتكرر حرف واحد مثل الألف والهمزة والخاء والحاء. وقد يضم حرفان مثل "لا". وقد يضم حرفان مثل "الـــ".

وهي لا تخضع للترتيب الأبجدي المعروف أبجد هوز حطي كلمن ...الخ ولكن لها ترتيبها الخاص. تبدأ بالألف ثم الهمزة. ولا تنتهي بالباء بل بحرف مركب من حرفين لا (لام ألف)، الـــ (أداة

التعريف) وبعد الألف تأتي الهمزة لقربها منها ووضعها عليها قديما أو تحتها حديثا. وبعدها تأتي الهاء وهو الآخر "هو"، الضمير الغائب. ثم تظهر حروف ع، ح، غ، خ، ق، ك، ح، ربما لأنها تشارك في نفس الشكل، الانحناء نصف قوس. والحرفان ق، ك لهما نفس الشكل الدائري إلا انه أظهر في القاف منه في الكاف. وتفترق الشين ش عن السين س بالرغم من اتفاقهما في الشكل، وكذلك الصاد ص والضاد ض، والطاء ط والظاء ظ، والثاء ث، والفاء ف، والباء ب، واللام ل والنون ن، والدال د والذال ذ، والراء ر، والزاي ز. والحرفان الزائدان على التبادل في الترتيب لا، الـ، لا البداية باللام ثم الألف، والـ البداية بالألف ثم اللام.

- **مواقع الحروف في الكلمات ودلالتها:**

ولكل حرف معنى بشكله أو بالكلمة التي يكون فيها أول حرف أو الاثنين معا. فالألف أ صورة الوحدة الإلهية مثل آدم. الألف أول الحروف، والله الموجود الأول، وآدم أول الخلق وأبو البشر. والهمزة المفردة ء اتصال في همزة الوصل وانفصال في همزة الفصل التي تنطق في أول الكلمة أو بعد فعل القول.

ومعظم الحروف دالة لاشتراكها في الكلمة في البداية أو في الوسط أو في النهاية. فالحرف مسيطر على الكلمة من ألفها إلى يائها. فمن البداية التاء تكوين وتمكين وتين وكلها كلمات قرآنية. والثاء ثالثة والثلاثاء، العدد والزمان. والحاء حقيقة. والدال دوام. والذال ذات. والراء رب ورؤية. والعين عين. والهاء هوية. والواو وجود. وقد يكون الحرف في وسط الكلمة. الخاء تأخر، الزين تنزيه. اللام ألف "لا" عناق. وقد يكون الحرف في النهاية. القاف شوق، واللام أزل. والنون عين، والحاء روح. والتاء ذات.

وقد يكون الحرف في أكثر من موضع، في البداية والنهاية أو في البداية والوسط. وقد يكون الحرف غير دال صوتيا لا في البداية أو الوسط أو النهاية بل يكون دالا دلالة معنوية مثل الخاء علو وسفل، جنة ونار. والعين حقيقة الإيجاد. والهاء عين الحقيقة والوجود.

ويمكن إجمال مقاييس تأويل الحروف في الآتي:

أ-وجود الحرف الصوتي في الكلمة.

ب-اشتراك أكثر من حرف صوتي في تكوين الكلمة مثل العين والنون في عين.

جـ-وجود الحرف الكتابي في الكلمة، الألف أ للاستقامة، ونصف الدائرة ن للانحناء، واللام الألف لا للعناق.

د-بعد وجود الحرف الصوتي في الكلمة، تحويله إلى عدد.

هـ- تحويل الوظيفة إلى حركة. فالهمزة اتصال وانفصال مقامات وأحوال.

و- الدلالة المعنوية المفترضة للحروف مثل الخاء للعلو والسفل، والجنة والنار.

- **الحروف والوجود.**

الحرف ليس صوتا مسموعا أو شكلا مكتوبا فقط بل هو أيضا إحالة إلى العالم، واتجاه نحو الوجود. الحرف طرف ينتقل إلى غيره بعد أن يبلغ مداه. من الحد إلى اللامحدود، ومن الرمز إلى المرموز، ومن الرسم إلى الوصف، ومن الحرف إلى الجسم. الحرف بؤرة الكون، ومادة الخلق الأولى. ومنه تتكون مراتب الوجود. وهي أربعة.

الذات بؤرة الكون. تتحدد إلى أعلى فتصل إلى الأفلاك والألوهية. وتهبط إلى أسفل فتصل إلى عالم الطبيعة، العناصر الأربعة. ولما كانت مراتب الوجود أربعة، وكانت الحاجة إلى وسط وطرفين ربما كانت الذات والأفلاك مرتبة واحدة، الذات والموضوع، التفرد والنور. ومنها يتم الصعود إلى الألوهية أو النزول إلى الطبيعة.

أ-الذات. الذات هي الحقيقة الوجودية الأولى، كما أنشد ابن عربي:

يا طالبا الوجود الحق يدركه=== ارجع لذاتك فيك الحق فالتزم

ويضاف إليها ألف ولام التعريف في المفرد "الذات"، وفي الجمع "الذوات" تتصف بالحياة وبالقدرة على توحيد الشتات.

ألف اللام لعرفان الذوات === تنظم الشمل إذا ما ظهرت

ولإحياء العظام النخرات === بمحياها وما تبقى شتات

ب- الأفلاك. وكما تنبثق الذات من الحرف، وتتجلى الذوات من الحروف ينبثق الفَلك من الذات وتتجلى الأفلاك من الذوات. وكما أن الذوات على مراتب فكذلك الأفلاك.

جـ-العناصر الأربعة. وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة. فالحروف والأفلاك التي تنبثق منها تتصف بصفات العناصر الأربعة. فالحروف إلا – ع – خ باردة يابسة. والحروف هـ - د باردة رطبة. والأفلاك أيضا تتصف بصفات العناصر الأربعة.

- **وماذا بعد الحروف؟**

يعترف ابن عربي بأن تأويل الحروف لديه "نكت غيبية عجيبة". فهل في الحروف في أوائل السور أو في الأبجدية كل هذه الآيات والأسرار والمعجزات؟ هل تأويل الحروف علم أم خرافة؟ هل تستطيع

القراءة أن تجعلها أكثر عقلانية وفهما وإدراكا، انتقالا من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، ومن الافتراض إلى الواقع، ومن الداخل إلى الخارج؟ هل الحروف عوالم قائمة بذاتها أم أنها عناصر مكونة للكلمات؟ وهل الكلمة قائمة بذاتها، مبتدأ بلا خبر أو خبر بلا مبتدأ، فعل بلا فاعل أو فاعل بلا فعل؟ الكلمة قضية. واللغة اسم وفعل وحرف. والحرف رابطة بين الأسماء والأفعال. وهل القضية الخبرية أو الإنشائية والجملة الفعلية أو الإسمية هي وسيلة الاتصال بين العقل والوجود أو بين الذوات أم هو الشعر أي الصورة والخيال؟ وهل الشعر إلا إحالة إلى القرآن كشعر أعظم، واستمرار لعبقرية العرب في الشعر إلى عبقرية القرآن في النظم؟

وما مقياس الصدق في ذلك كله حتى لو كان صدقا مع النفس وليس تصديقا في الواقع؟ إذا كان القياس هو التطابق أو الاتساق فمع ماذا؟ الواقع من خلال الحس أو العقل أو القلب أو الخيال أو الوهم؟ وكيف يمكن احتواء هذه التقسيمات والتعريفات والأعداد الافتراضية في الحروف؟ وماذا عن تشعب المعاني في الحرف، الصوت، والشكل، والصفة، والاسم؟ ولولا التطويل لتشعبت الأمور، ولولا العودة إلى الموضوع "فلنرجع ونقول" لاستمرت الاستطرادات.

ما دلالة ذلك كله؟ هل هو الوهم كبديل عن الواقع الذي لم يستطع الفعل السيطرة عليه ولا العقل تحليله، ولا القلب والفؤاد نسيانه، ولا الخيال ضبطه؟ وكثيرا ما كانت الأبنية في الهواء تعويضا عن تهدم الأبنية في الواقع والعجز عن إعادة البناء؟ هذه هي أسبابه ودوافعه، العجز المتناهي في الواقع، والقدرة اللامتناهية في الخيال. وإذا كان للواقع حدود فإن الوهم بلا حدود.

- **وأخيرا، ما فائدة ذلك كله؟ قد تكمن الفائدة في ثلاثة أشياء:**

أ-فك طلاسم القديم، ونزع التقديس عنه من أجل القضاء على تأثيره في الواقع خاصة بعد تحول التصوف النظري إلى طرقية عملية، ومن اختيار النخبة إلى الثقافة الشعبية. فقد تحول الشيخ الأكبر

إلى الطريقة الأكبرية. ولا ينطبق هذا على ابن عربي وحده بل على باقي أعلام الصوفية الذين أصبح حضورهم في الثقافة الشعبية حضورا طاغيا كالغزالي. وقد حاول ذلك من قبل محمد إقبال كما يحاوله مشروع "التراث والتجديد" في جزئه الرابع "من الفناء إلى البقاء".

ب-تحليل هذه النصوص القديمة من أجل إرجاعها إلى مصادرها في "الخيال الخلاق" عند ابن عربي أو كرد فعل على العجز عن تغيير الواقع الاجتماعي بناء واقع بديل في عالم الوهم، عالم الأقطاب والأبدال، مدينة فاضلة في السماء بعد أن استقر الأمر للمدينة الجاهلة في الأرض وأطاعها الناس.

جـ-خلق نصوص جديدة تعبر عن التجربة المعاصرة، تجارب الاحتلال الخارجي والقهر الداخلي والتجزئة والظلم الاجتماعي والتبعية والتغريب واللامبالاة، ووضع أحوال ومقامات جديدة الثورة والغضب والتمرد والاعتراض والنفي والمقاومة بدلا من الصبر والتوكل والورع والخوف والخشية والرضا والزهد والقناعة. فلم تعد المقاومة ميؤوسا منها، بل هي فعالة في فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان وكشمير مما يستلزم تصوفا جديدا مثل تصوف الحلاج. فقد اشترك في ثورة القرامطة وفقراء بغداد ضد الظلم والطغيان متمسكا بالتصوف "أنا الحق" "بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فهو زاهق" "وقل جاء الحق".

- **<u>أسرار الحروف عند المتصوفة:</u>**

ان سر كل أمة في كتابها.. وسر كتاب الله القرآن في الحروف، والحروف مختلفة الاشكال، ومن المعروف ان الكتابة بالحروف العربية هي وسيلة هامة لحفظ الكلام الالهي.

ومن ذلك فقد اكتسبت الحروف العربية هالة عظيمة من الاهمية بسبب ذلك.. وقد اشترك الملوك والامراء والزهاد والمتصوفة قديما في فضل نسخ (كتابة) القرآن الكريم بحروفه وكلماته الخالدة.. حتى ذهب الكثير من المتصوفة في انشغالهم وبحثهم عن المعاني الخفية ودلالة كل حرف من حروف اللغة

العربية لغة القرآن العظيم. فقد اعتقدوا ان لكل حرف من الحروف الهجائية معنى مرتبطا بالذات الالهية، او بالكشف عن اسرار الكون، او بالإشارة الى درجة من درجات الطريق للوصول الى الله جل جلاله.

وحروف اللغة العربية تتكون من (28) حرفا غير (لام الف) وهي تمام الـ (29) حرفا.. وذلك بعدد منازل القمر!! والمنازل يظهر فيها فوق الارض (14) حرفا هي (ن ت ث د ذ ر ز ط ظ ل ص ض س ش ومنها ما يظهر معها وهي (14) حرفا هي (أ ب ج ح خ ك م ع غ ف ق هـ و ي) وايضا هناك منها (14) حرفا منقوطا اي له نقاط مثل (ب ت ز ج ف... الخ) وغير منقوط مثل ا م ح ر ص ... الخ) مما جعل متخصصي التنجيم يدعون ان الحروف المنقوطة هي اكثر تفاؤلا واسعد حظا من غيرها المنقوطة!!

اما اسماء الحروف العربية فتطلق عليها تسميتان: (الحروف الأبجدية) و(الحروف الهجائية)

وقد قيل قديما: إذا كانت الاعداد هي من اسرار الاقوال فان الحروف هي من اسرار الآثار والأفعال. ومن أهمية وضرورة الحروف العربية ما بدئ منها بسور القرآن الكريم وظلت من المعجزات التي حاول العديد من علماء الدين واجتهدوا في محاولة حل اسرارها الالهية ومثال ذلك بدايات سور: آل عمران، العنكبوت، الروم، لقمان، والسجدة التي بدئت بحروف (أ ل م)، وهناك سور كثيرة بدئت بحروف (ا ل م ص) (ا ل ر) (ط هـ) (ط س م) (ي س)، وكذلك (ا ل) تلك آيات الكتاب المبين. (ص) والقرآن ذي الذكر. (ح م) تنزيل من الرحمن الرحيم. (ق) والقرآن المجيد. (ن) والقلم وما يسطرون.. وغير ذلك الكثير من بدايات سور القرآن الكريم.

والآن لنتعرف معا على دلالة بعض حروف لغتنا العربية لدى بعض علماء اللغة والمتصوفة والباحثين في الادب الاسلامي.

(حرف الألف)

يعتبر حرف الالف من أمهات الحروف العربية وهو اول الحروف واعظمها وهو حرف نوراني، وهو الاشارة الىٰ الله الذي ألف بين الأشياء وانفرد عنها، وحرف الألف ايضا اصل لكل الاشياء لأنه صادر من الله تعالىٰ الواحد الاحد.. فالعرش له حرف الألف.. وقيام الألف من اسرار اسمه القيوم.. وهو اول حرف في كلمة الفاتحة.. والالف حرف قائم بنفسه وهو أمة من الأمم وله اعمال كثيرة.

ومن خواص واسرار حرف الألف ايضا انه اول عنصر النار واول الاختراع واول العدد، وقد جعلت له القوة الازلية.. والسر في كون حرف الالف ناريا ان القلم لما امره الله ان يكتب ما هو كائن الىٰ يوم القيامة وضع رأس القلم علىٰ اللوح المحفوظ فساحت منه نقطة من النور، ثم ساح منها حرف (الألف) فلهذا السر كان ناريا، وقد اعتبرت الصوفية حرف الالف في مقام (أحد) وصار رمزا لوحدة الله المطلقة.

(حرف الباء)

حرف الباء شفوي يخرج من بين الشفتين، وهو حرف صامت بارد يابس، وقد شرف وبارك الله حرف الباء وجعله بدءا للبسملة (بسم الله الرحمن الرحيم)، وقد استعمل حرف الباء كرمز صوفي اكثر منه رمزيا شعريا، وقال بعض المتصوفة من الايرانيين ان حرف القرآن الأول هو (ب) وحرفه الأخير (س) اي (بس) ومعناها بالفارسية (كاف) للدنيا والآخرة.

(حرف التاء)

من الحروف النطعية وصفاته تشبه صفات حرف الباء.. الا انه ارطب من الباء، والمقصود من (التاء) هو تلاوة القرآن حتىٰ تجد وحدة الذات.

(حرف الثاء)

حرف صامت طبعه حار رطب هوائي قريب في النطق من التاء، والمقصود من (الثاء) هو اثبت في الدين بعون الله.

(حرف الجيم)

حرف جهري يوافق كوكب زحل وهناك من الصوفيين ممن شبه حرف الجيم (ج) بصدغ الحبيب او خصلة شعره.

(حرف الدال)

حرف الدال هو مغناطيس القلوب في المحبة، وهذا الحرف ناطق دال على العلوم والحكمة، وهو منسوب الى كوكب عطارد.

ويذكر الشيخ جلال الدن الرومي ان حرف الدال هو قامة العاشق اذا اصابه الحزن اذ يقول: ان القلوب التي دلها العاشقون اصبحت دالات.

وهناك من ربط حرف (الدال) بأسماء الله وصفاته العليا، والتي يدخل فيها هذا الحرف مثل: الدائم الدوام، الديمومة، الحمد، الودود.

(حرف الذال)

وهو حرف لثوي صامت لأنه من آخر عنصر الحرارة واليبوسة، وهو حرف ناري اعماله في البرودة والرطوبة. ومعنى (الذال) هو ان تذل نفسك لله رب العالمين دائما.

(حرف الراء)

حرف رطوبته زائدة جدا وبرودته كذلك وقد شبهه الشعراء قديما بالسكين والخنجر والهلال.

(حرف الزاي)

وخواصه في اعمال الخير. وهو يرد في اسم الله (العزيز) مرتين.

(حرف السين)

يشبه الصوفيون حرف السين بالمشط الذي تمشط به الجميلة شعرها، او يشبهونه باسنان المحبوب.

(حرف الشين)

والشين من الحروف الشجرية. وقد اعتبرت النقاط الثلاث دموعا تساقطت من عين العاشق.

(حرف العين)

وهو موجود في العناية التي توجد بلطف الله تبارك وتعالى.

(حرف القاف)

والقاف حرف لهوي وله خواص في مدد القوى، ولهذا ابتدأ به اسماؤه تعالى (قادر، قوي، قائم، قهار) والقاف هي درجة (قرب قاب قوسين) التي يعرفها المتقربون جدا الى الله.

(حرف اللام)

واللام حرف مشتق من كلمة (لطيف) وتصور بعض شعراء الصوفية (اللام) لخصل شعر الحبيب.

(حرف الميم)

من اهم الحروف عند الروحانيين، فهذا الحرف عندهم رمز للنبي الأكرم محمد (صلعم) وحرف الميم له علاقة بصفات واسماء من مثل: ملكوت وملك.. ولما كان حرف الميم في حساب الجمل اي الابجدية هو (40) فقد قالوا: ان بين الانسان وبين الله سبحانه اربعين درجة على العارف ان يسلكها نحو الحق. اما الشعراء في الادب الاسلامي فقد كانت (الميم) عندهم رمزا لفم المحبوب الضيق.

(حرف النون)

له علاقة بالنور الالهي كما في الآية القرآنية (الله نور السموات والأرض) وكان العباسيون يعتبرونها رمزا للهلال.

(حرف الهاء)

وحرف الهاء هو الحرف السري عند المؤمنين الخاشعين، والهاء تفيد معنى (هو) عن هوية الله التي تضيء بشعاعها الافلاك.. اما الخيال الشعبي فقد كان يرى في الهاء عينا انسانية تقطر منها الدموع.

(حرف الواو)

وحرف الواو له علاقة بأسماء الله الحسنى مثل: وهاب، واحد، ولي، وارث، ودود، وقد رسم الخطاطون قديما حرف الواو مثل زورق له مجاذيف.

(حرف الياء)

هو حرف نداء ودعاء له علاقة قوية بالأدعية والتقرب الى الله مثل: (يا) الله (يا) رحمن (يا) رحيم. والياء حرف اساسي من حروف كلمات في آية الكرسي العظيمة في القرآن مثل: الحي، القيوم، يعلم، كرسيه، العلي، العظيم.

- **بكائية**

صديقتي

أحسُّ أنَّ في دمي بُكاءْ

وأن كل معبرٍ إليكِ كلَّ أَلِفٍ وباءْ

تمزقَ المِسْمَارُ في نسيجهِ

وأنْتِ بينَ أذرُعي نداءْ

لو كنت من خلف البحارِ، جئتها إليكِ

رغم قسوة الشتاءْ

مصيبتي أنكِ ملءُ غرفتي

ونحن سَوْرَتان، ريحٌ ضمَّها غِطاءْ

نعصف ما نعصف! شيء بيننا: بكاءْ

إن أول ملاحظة تتراءى لنا في قول المجاطي هذا هي أنه يحس أن كل معبر إلى حبيبته هو بمثابة ألف وباء، ولعلنا نتساءل هنا عن دلالة حرفي الألف والباء وعلاقتهما بالحالة النفسية التي يمر منها الشاعر.

وبالرجوع إلى المهاد النظري الذي أسلفنا ذكره نجد أن التأويل الصوفي للحروف يحاول أن يقدم لنا إجابة لا تخضع إلى معايير علمية منطقية وإنما تستند إلى التذوق؛ حيث إن الألف يرتبط بمعاني الاستقامة والاستقرار والوحدة وهذا معنى قول المجاطي (كل معبر إليك ألف وباء) حيث إنه كلما التقى بمحبوبته أو حظي بوصالها أحسّ بهدوء واعتدال نفسي، وهو ما يعني أن حرفي الألف والباء ربطا بين الشاعر والعالم العاطفي، بل إن حرف الباء هنا يبدو أنه يرتبط بالانحناء لاتخاذه شكل نصف دائرة، وهذا أمر معلوم عند ابن عربي حينما يتحدث عن العلاقة بين أشكال الحروف ودلالتها الرمزية، ومن البدَهي أن ينحني العاشق أمام معشوقته في كل لقاء حدث بعد فراق أو هجر. وفي هذا الصدد أورد الخليل بن أحمد الفراهيدي بيتا شعريا في كتابه الحروف:

أنبئت أنك حرفُ الباء حين تلقاها ** وفي المعارك لا تستعمل الباها

غير أننا نسائل المنهج الصوفي في التأويل ونقول من أين تستمد الحروف دلالاتها وأبعادها الرمزية؟

لا يكتفي التأويل الصوفي لحرف الباء عند هذه المعاني، بل يذهب إلى أبعد من هذا حين يخبرنا أن هذا الحرف حرف صامت بارد يابس، وقد شرف وبارك الله حرف الباء وجعله بدءا للبسملة (بسم الله الرحمن الرحيم)، وقد استعمل حرف الباء رمزا صوفيا أكثر من استعماله رمزا شعريا.

وفي علاقة بالنص قيد الاشتغال نرى أن للبرودة واليبوسة معاني تتوضح ملامحها في كون الشاعر يعيش حالة من الجفاء صوب محبوبته.

- **<u>قصيدة الحروف:</u>**

إن الشكل الهندسي الذي بنيت عليه هذه القصيدة يتخذ أبعادا دلالية تتأصل انطلاقا من هيكل جسد بعض الحروف الذي يُكَون البناء العام للقصيدة، فمثلا لو حاولنا أن نتأمل أرخبيلات جسد قصيدة الحروف للمجاطي وجدناها تتكون من جسد مجموعة من الحروف من بينها العين ثم الحاء والرّاء والواو.

- **<u>أولا: التساوق الدلالي بين المعاني وجسد الحرف في القصيدة</u>**

الراء:

جاء المقطع الأول في شكل حرف العين ولهذا التساوق بين جسد الحرف والكلمات التي تكونه دلالات ومعاني صوفية نصوغها على النحو الآتي:

وأنا أراود كل شاردة

لأســــكن

في حــمامها

وأطوف سبعا حول دانية القطوف

تمط ألسنها الحروف

بما تشابه

من صهيل ملامح التأسيس

حيث الرّوية

اكتملت

وحصحصت البدائل

في مداها

وأنا أرواد

كل آبدة

أطوف ما أطوف

.

إن بناء هذه القصيدة على حرف العين فيه تنبيه من الشاعر إلى أن العين هي البؤرة الجوهرية في الدلالة، وذلك ما يتأكد من خلال تكرار الشاعر لفعل أرواد الذي يبدو هنا مرتبطا بالنظر أكثر من الرّوية أو الحجا، ولولا ذلك لما برز الشاعر مراودا لكل شاردة تائهة وكلّ آبدة ساهمة ولما اكتملت الرؤية، ولكي تكتمل الرؤية لابد من استخدام حاسة البصر/ العين وهو ما يعني هنا أن الحرف يصير في هذه الأثناء جسدا حاويا، ويستحيل الجسدُ لغةً حاوية في نصّ لا تكتبه إلاّ تأملات الرّوح.

الواو:

فيا صليل ملاحم
التفتيش

في زمن التفاعيل المدورة

استفق

واخلع نعالك

قبل

أن تلج البحور السبع
دائرة الكسوف

يشير حرف الواو عند المتصوفة إلى بعد رمزي دلالي يرتبط بالوجود، ونحن نلاحظ شيئا من هذا في الوحدة الدلالية لهذا المقطع الشعري، إذ إن الشاعر ينادي صليل ملامح التفتيش نداء غير حقيقي يفيد الدعوة إلى الإقدام على القيام بفعل إنجازي معين وهو (الاستيقاظ = استفق، وخلع النعل تأهبا لإذكاء الوجود الإيجابي لصليل ملامح التفتيش)، حتى لا تلج البحور السبع أي المصادر السبعة للمعرفة وفي هذا كناية عن العلم الذي دبّ إليه الوهن وبدأ يفقد توهجه في ظل وجودٍ تغمره التفاعيل المدورة وتغطيه دائرة الكسوف أو العمى المغلف.

ولعل التساوق بين جسد حرف الواو ومعاني هذا المقطع الشعري ينجلي في كون حرف الواو يشير كما أسلفنا إلى الوجود، وهذا الوجود هو ما تنصّ عليه كثير من الملفوظات اللغوية التي احتواها المقطع من قبيل:(صليل ملامح التفتيش، التفاعيل المدورة، الكسوف...)

حرف الرّاء:



يدل حرف الرّاء على البرودة واليبوسة عند المتصوفة، كما شبهه الشعراء القدامى بالسيف، ولعل هذه المعاني هي التي دفعت المجاطي إلى اتخاذ شكل حرف الواو كجسد حاوي لمعاني هذا المقطع الشعري، وفي هذا تفكر وروّية وحصافة، لأن المعاني هنا ترتبط بالجفاف واليبوسة والقيظ؛ حيث إن الشاعر جعل النهد فارغا لكونه فوق الحجر، كما جعل المطر مقيدا لا يرشّ رذاذه، وقد انعكس هذا كله على الحروف التي انهمرت أسى وحزنا؛ وما هذه الحروف إلا أجساد الإنسان الظامئ.

المصادر والمراجع:

- **الحروف، الخليل بن أحمد الفراهيدي (100 –175 هـ)، تحقيق: د. رمضان عبد التواب، مطبعة جامعة عين شمس، القاهرة – الطبعة الأولى – 1969م.**
- **فصوص الحكم، محيى الدين بن عربي، الطبعة غ/م، الناشر: دار الكتاب العربي.**
- **الفتوحات المكية – محيي الدين بن العربي – تحقيق أحمد شمس الدين، طبعة دار الكتب العلمية ط1– 1999م.**
- **ديوان الفروسية، أحمد المجاطي، طبعة المدارس، ط2، الدار البيضاء، 2001م.**